المقدمة

أعنى بالنثر الفنى الذى سأتحدث عنه هذه الكتابة الفنية التى يتعمد فيها الكاتب الأناقة فى التعبير ، ومحاولة السمو بالأسلوب إلى مستوى رفيع هو مستوى كتابة الطبقة التى نالت حظاً كبيراً من الثقافات المختلفة ، وظهر أثر خيالهم وعاطفتهم فى كتاباتهم ، فإذا بنا نرى فى هذه الكتابة صوراً فنية لا تختلف عن الصُور التى فى الشعر .

ولكن ترى متى ظهر النثر الفنى عند العرب ؟ ، متى استقر واستوى نثراً جميلاً مهذباً ، جامعاً للأسلوب الجميل ، والمعنى الرفيع ؟ .

" بالتأكيد ليس هناك نثر فنى عند عرب الجاهلية ، وما كان له أن يكون ؛ لأن الغرض فى النثر الفنى أن يظهر ويستقر عند استقرار الأمة ، وانتظام حضارتها ونظمها الإجتماعية والسياسية ..... ولهذا فالعرب قبل الإسلام لم يعرفوا الرسائل الأدبية ، ولكنهم عرفوا القصص ، والأمثال والخطابة وسجع الكهان ـ وقد وصلتنا نبذ من كل هذه الألوان . لا نقول إنها صادقة مائة بالمائة ، ولكنها تمثل روحهم وطبيعتهم ..... وكيف كانوا يعيشون ويتحدثون ، ويضربون الأمثال ويسجعون ويبدو أيضا أنهم لم يدونوا شيئاً مذكوراً مما قالوه وسجعوه ، وضربوه مثلا وخطبوه ، ولكن الرواة نقلوا لنا بعض هذه الآثار التى استقرّ كتباً فى آثار العرب فى العهد العباسى ، وهى وإن لم تكن صادقة كل الصدق ، فإنها ليست بعيدة عنه ولا غريبة منه " (١) .

والذى لا شك فيه اليوم أن النثر الفنى لم يظهر إلا فى أواخر العصر الأموى ، وعند ما عمد العلماء إلى تدريس فنون اللغة وعلوم القرآن والحديث فى المساجد التى كانت معابد وجامعات فى الوقت نفسه ، وعند ما بدأ المؤرخون يكتبون أخبار من سلف من المتقدمين ، وعند ما أخذ دعاة الفرق والمذاهب يدافعون عن مذاهبهم وفرقهم ، وعند ما أخذ كتاب الدواوين عند الخلفاء والأمراء . يكتبون الرسائل إلى العمال والولاة بأسلوب عربى

---

(١) آثار ابن المقفع ـ من التراث العربى ـ ط منشورات الحياة ـ بيروت لبنان ـ ص٥

فصيح بليغ . ففى اللغة الديوانية يوجد شرح النظم الإدارة فى كل مكان انتشر فيه الدين الإسلامى . فضلاً عن كونها لغة العربية ولغة العلم والأدب ، ولغة الحكم والسياسة ، وحين نؤرخ للكتابة العربية منذ عهد الدولة الأموية ونحاول تلمس الأسباب التى من أجلها نهض هذا الفن لانجد أقوى من ديوان الإنشاء سبباً لقوة الكتابة العربية .

والحق أن هذا الديوان هو الذى شحذ أقلام الكتاب من عهد عبد الحميد الكاتب فى عصر بنى أمية إلى عهد سهل بن هارون ومن إليه من الكتاب فى العصر العباسى الأول إلى عهد ابن العميد ، والصاحب بن عباد فى العصر العباسى الثانى إلى عهد الصيرفى والقاضى الفاضل ، ومحيى الدين بن عبد الظاهر فى العصور الفاطمية والأيوبية ، والمملوكية . ففى عهد بنى أمية كان الخليفة يسكل ديوان الإنشاء إلى واحد من أفاضل الكتاب ، واستمر الحال على ذلك حتى عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية فكان كاتبه عبد الحميد الكاتب ، ومن الممكن أن نقول إن أسلوب النثر الفنى فى المرحلة التى سبقت عبد الحميد الكاتب كان أسلوباً يزينه السجع والمزاوجة من غير إلتزام ويعتمد على الجمل القصار حيث توضع الجمل فى إطار محكم ويؤتى بالجملة ثم يوضع لها من جملة تشبهها أو تقاربها حتى جاء عبد الحميد فى أواخر القرن الثانى الهجرى فأطنب فى موضوع الكتابة وفصله ، وجعل من الكتابة موضوعاً يشرحه ويولده حتى يأتى على آخره ، ووضع أنماطاً للكتابة فى الشئون الخاصة بتدبير الملك ، ولم يلتزم السجع كذلك وإن أتى فى كتابته عرضاً " (١) .

ويعد عبد الحميد بن يحيى الكاتب صاحب أول طريقة كتابية فى النثر العربى بإجماع الكثير من مؤرخى الأدب ونقاده ، قال ابن النديم : ـ (٢)

" وعنه أخذ المترسلون ، ولطريقته لزموا ، وهو الذى سهل سُبل الرسائل فى الترسل " ، وقال ابن عبد ربه : ـ (٣)

---

(١) أحمد أمين ـ ظهر الإسلام ـ ط السادسة ط مكتبة النهضة المصرية ـ ج٣ ـ ص ٢٠٤ .

(٢) ابن النديم ـ الفهرست ـ ت ـ رضا تجدد ـ ص ١٣١ .

(٣) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ـ ط مطبعة الوطن سنة ١٣٠٦ هـ ـ ص ٢٠٦ .

" وكان عبد الحميد أول من فتق أكمام البلاغة ، وسَهّلَ طرقها ، وفك رقـــاب الشعر " ، وقال الأستاذ : أنيس المقدسى : ـ (١)

" وأما عبد الحميد ففى طريقته يجرى مجرى الإزدواج والتبسط لذلك يخرج عـن مجرى الإنشاء العام لعهده " ، ونظرته إلى الكتابة تستفاد بوضوح من رسالته " إلـى الكتاب " وهى رسالة تمثل أسلوب عبد الحميد الكاتب فى ميله الواضح إلى التوازن ، بالإضافة إلى أنه وضع فيها الأساس الأول لآداب الكتابة ، وهى رسالة جميلة ومعروفـة من عيون النثر العربى إلى يومنا هذا ، ثم هى جماع الأخلاق والفضائل التى يجـب أن يتحلى بها الكتاب قديماً وحديثاً . يقول ابن خلدون : ـ (٢)

وأما الشروط المعتبرة فى صاحب هذه الرتبة ـ يعنى رئاسة ديوان الرسائـل والكتابة ـ التى يلاحظها السلطان فى اختياره وانتقائه من أصناف الناس فهى كثـيرة جداً وأحسن من استوعبها عبد الحميد الكاتب فى رسالته إلى الكتاب " ، ويقول القلقشندى فى هذه الرسالة : ـ (٣)

" هذه الرسالة احتفظت بها بعض المراجع كاملة " ، وهذه بعض فقرات منهـا يقول : ـ (٤)

" أما بعد ، حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة ، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم فـإن الله عز وجل جعل الناس ـ بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ومـن بعد الملوك المكرمين أصنافاً ، وإن كانوا فى الحقيقة سواء .... فجعلكم معشـر الكتاب فى أشرف الجهات أهل الأدب والمروءة والعلم ، والرواية فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التى بها يسمعون ، وأبصارهم التى بها يبصرون ..... الخ " .

---

(١) أنيس المقدسى ـ تطور الأساليب النثرية ـ ط دار العلم للملايين ـ ص ١٤٩ .
(٢) ابن خلدون ـ مقدمة ابن خلدون ـ ط دار التراث العربى ـ بيروت لبنان ـ ص ٢٤٨
(٣) القلقشندى ـ صبح الأعشى ـ ط نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومى ـ جـ ١ ـ ص ٨٩ .
(٤) ابن خلدون ـ مقدمة ابن خلدون ـ ط التراث العربى ـ بيروت لبنان ـ ص ٢٤٨ .

وهذا يسلمنا إلى مرحلة ابن المقفع الذى اختاره آل الأهتم ليكتب لهم وقبلوا ولاءه وأنزلوه عندهم خير منزلة . ولما اشتهر هذا عنه ، وعرف به طلبه كبار الأمراء والولاة ليكتب لهم ، ويجيب على الرقاع التى تأتيهم ، وكان عمر بن هبيرة من هؤلاء الذين عمل فى دواوينهم وذلك حين كان فى كرمان . وكان الكاتب البارع فى هذا العهد مطلوباً مقدماً على غيره يصل إلى أعلى المناصب وأرقاها حتى يستقر فى الوزارة ، ويكون ثانى رجل حتى يستقر فى الوزارة ، ويكون ثانى رجل فى الدولة بعد الخليفة ، وكان ابن المقفع يكتب ليزيد بن عمر بن هبيرة والى العراق فى عهده ، ثم كتب لأخيه داود بن هبيرة بعده ، فلما ظهر العباسيون وتمكنوا من الأمويين اتصل ابن المقفع بعيسى بن على عم الخليفتين السفاح والمنصور " (١) .

وتتلخص طريقته فى تنويع وتقطيع الجمل ، والميل إلى السهولة ، والعناية بالمعنى والزهد فى السجع ، وتجنب الغريب غير المألوف من الألفاظ ، وكان ابن المقفع صاحب الفضل فى نقل حكايات " كليلة ودمنة " عن الفارسية إلى العربية ، وقد أضفى عليها من أسلوبه وشخصيته ما حمل بعض مؤرخى العرب على أن ينسبوها إليه ، وهو من أشهر الكتب فى اللغة العربية ، وأسلوبه فيها يتسم بالجزالة والوضوح . لهذه الأسباب عرف الآخرون لهما هذه الميزة ، وأشادوا بأثرهما بعد أن استطاعا بعد وقت طويل امتد من العصر الجاهلى حتى نهاية الدولة الأموية أن يقدما لنا نثراً بعيداً عن لغة التخاطب والعلم والفلسفة والتاريخ ، نثراً فنياً يلذ القارىء فى أسلوبه وطراوته وجمال تعبيره كما يدعوه إلى التفكير فى المعنى السامى والفكر الخلاق الذى يكمن فى تواليفه " (٢) .

وظل الحال على ذلك حتى جاءت الدولة العباسية والنثر الفنى يخطو خطواته الأولى ، ولم يكن قد استقر على أسلوب معروف وطريقة علمية مقررة ، وإذا به يعظم أمره ، ويقوى سلطانه ، وتتسع موضوعاته حتى صارت الكتابة سلماً إلى ارتقاء الوزارة وبلوغ أرفع المناصب فى الدولة . قال ابن فضل الله : — (٣)

---

(١) آثار ابن المقفع — من التراث العربى — منشورات الحياة — بيروت لبنان — ص ٨ .
(٢) آثار ابن المقفع — من التراث العربى — ط منشورات الحياة — بيروت لبنان — ص ٧
(٣) السيوطى — حسن المحاضرة — ت . محمد أبو الفضل إبراهيم — ط دار إحياء الكتب العربية — جـ ٢ — ص ٢٣١ .

" كانت كتابة الإنشاء فى المشرق فى خلافة بنى العباس منوطة بالوزارة ، وربما انفرد بها رجل ، واستقل بها كتاب لم يبلغوا مبلغ الوزارة " .

وكان لهذه النهضة أسباب من أهمها :

١ — الصلة التى بدأت فى العصر الأموى بين العرب وغيرهم من أبناء الأمم التى دخلت فى الدولة الإسلامية كالفرس والروم . وقد اشتدت هذه الصلة فى العصر العباسى فزاد امتزاج الدماء والعادات والأفكار ، كما كان لذلك أثره فى نضج العقل ، واتساع الثقافة .

٢ — وراثة الحضارة العربية لحضارات متعددة كالحضارة اليونانية التى بدأت تغزو العالم العربى الإسلامى ، فأخذت عنها واستمدت من بعضها بقدر عن طريق الترجمة التى بدأت على منوال ضيق أولاً ثم تبسطت وتطورت بعد ذلك ، وأسرفت فى الإقتباس من بعضها ، فرحبت بذلك آفاق الحياة أمام الأدباء ، ورحبت معها آفاق الملاحظة وصور الحياة وعلى الرغم من وجود التصارع حول الأوطان السياسية والدويلات التى انسلخت عن جسم الدولة ، وأعلنت استقلالها عنها كالإخشيدية والحمدانية والبويهية ، وغيرها . إلا أنه كان عصر استقرار فى فترة غير قصيرة منه ، فساعد على الإستقرار الفكرى ، وعلى القراءة والبحث والإطلاع " [1] .

وكان من المفروض فى مثل هذا التطور أن يتطور الأسلوب العربى ، والنثر الفنى ، وأن يزداد هذا التطور وضوحاً وظهوراً كلما زاد عدد الكتب الإغريقية المترجمة وكلما كثرت الأفكار الجديدة التى أخذت تحملها هذه الكتب إلى العرب . وبهذه العوامل كلها وما أدت إليه من رقى عقلى وخصب ثقافى ، ومرونة لغوية ارتقى النثر الفنى فى العصر العباسى ، ونهض نهضة عظيمة ، فوجدنا من ألوان النثر الأدبى الكتابة ومن فنونها النثر القصصى الذى نمت بذوره منذ القديم فى أمثال العرب وحكاياتهم وأيامهم ثم وجد هذا الفن مدده فى قصص القرآن الكريم ، ودخل الأدب العربى شىء من

---

(١) انظر ضحى الإسلام لأحمد أمين ، وتاريخ الأدب العربى لأحمد حسن الزيات .

الأدب الأجنبى كحكايات كليلة ودمنة ، كما ظهرت حكايات البخلاء ونوادرهم على يد الجاحظ . أما الجاحظ فقد ارتقى بالكتابة بعد عبد الحميد الكاتب وابن المقفع فقد جمع محاسنها وزاد عليهما خفة الروح وجمال العرض ، واجتمعت له مميزات عدة مثل الافتنان ، والاستطراد ، والتوازن ، وقصر العبارة . يقول أحمد أمين : — (١)

" وجاء بعد ذلك الجاحظ فأسهب فى الكلام ، وأطنب ونوع موضوعات الأدب ، وجعل كل شىء يصلح لأن يكون أدباً من معلمين وحوارى ، ولصوص ، وحسدة إلى غير ذلك ، وكان قلمه طيعاً فوسع معانى الأدب فى كل نواحيه ، ولولا أنه كان مرحاً مستطرداً " .

وللجاحظ رسائل وغرر كثيرة ولايتسع المقام للكلام على كل منها ، فنكتفى هنا ببعضها ، وبعض منتخبات من بليغ أقواله التى توضح لنا أسلوبه وتعرفنا بشخصيته مثال ذلك قوله من " رسالة الشكر " التى قصد بها مدح وزير المتوكل وشكر نعمه لديه :— (٢)

" وإذا لم يكن اللفظ رائعاً ، والمعنى بارعاً ، والنوادر موشحاً ، وبالملح مجلوّاً ، لم تصغ له الأسماع ، ولم تنشرح له الصدور ، ولم تحفظه النفوس ، ولم تنطق به الأفواه ولم يخلد فى الكتب ، ولم يقيّد بالدرس ، ولم يجذل به قائل ، ولم يلتذ به سامع ، ومتى لم يكن كذلك كان كلاماً ككلام اللغو ، ومعانى السهو ، وكالهُجر الذى لايُفهم ، والمستغلق الذى لايعلم " .

ويجرى على هذه الطريقة من توازن وقصر عبارة فيقول : — (٣)

" وليس — أبقاك الله — شىء أحوج إلى الحذق ، ولا أفقر إلى الرفق مع الشكر النافع ، والمديح الناجع ، الذى يبقى بقاء الوشم ، ويلوح كما يلوح النجم : كما أنه لاشىء أحوج إلى وسع الطاقة ، وإلى الفضل فى القوة ، وإلى البسطة فى العلم ..... الخ " .

---

(١) أحمد أمين — ظهر الإسلام — ط مكتبة النهضة المصرية — ج٣ — ص ٢٠٥ .
(٢) انيس المقدسى — تطور الأساليب النثرية — ط دار للعلم للملايين — ص ١٧٩ .
(٣) السابق نفسه ص ١٨٠ .

وله رسالة هزلية ألفها سخرية برجل اسمه أحمد عبد الوهاب ، كان مُفرط القصر ، جعْد الأطراف ، قصير الأصابع ، طويل الظهر ، قصير عظم الفخذ ، وهو إلى ذلك كبير السن ، ومربّع الجسم ، وكان يدعى الرشاقة والسباطة والجمال واعتدال الشباب قال الجاحظ فى مقدمتها : — (١)

" وكان ادعاؤه لأصناف العلم على قدر جهله بها ، وتكلّفه للإبانة عنها على قدر غباوته عنها ، وكان كثير الإعتراض ، لهجاً بالمراء ، شديد الخلاف كلفاً بالمجادبة مع إضلال الحجة والجهل ..... لاينطق عن فكر ، لايفصل بين اعتزام الغمر ، واستبصار المحقّ .... الخ " .

ثم يسوق الكلام إليه متفنناً ماشاء فى الهزء به والتنادر فى أوصافه — وإليك ماقاله بعد أن غمره بسيول اسئلته : — (٢)

" وقد تعجّب ناس من إطالتى ، ومن كثرة مسائلتى ، وتعجبى من تعجبهم أشد ، والذى كان من أفكارهم أعظم ، ولو رغبوا فى العلم رغبتى ، ورأوا فيه رأيى وكانوا قرأوا كتابى إليك فى شبيبتى وأيام شباب رغبتى لاستقلوا من ذلك ما استكثروا ، ولاستقصروا منه ما استطالوا " .

وإذا كان الجاحظ الإمام المقدم فى هذا الترسل المتوازن خلال القرن الثالث ، فالتوحيدى " أبو حيان " هو الذى حمل لواءه فى عهد كانت السيادة فيه لأسلوب آخر هو الأسلوب المسجع المحلى بالبديع . فهو من أبناء القرن الرابع — قرن ابن العميد ، والصابى والصاحب بن عباد والخُوارزمى وبديع الزمان وطبقتهم ممن عُنوا بتسجيع الكلام وأهملوا الأسلوب الجاحظى القائم على توازن العبارات دون التقيد بالسجع أو البديع . ويظهر أنه كان متأثراً جداً بالجاحظ فاقتفاه وجرى مجراه وأولع بنسخ كتبه وقرّظه فى كتاب خاص سماه تقريظ الجاحظ — ومن قوله فى كتابته : — (٣)

---

(١) أنيس المقدسى — تطور الأساليب النثرية — ط دار العلم للملايين — ص ١٨٢ .

(٢) السابق نفسه ص ١٨٣ .

(٣) السابق نفسه ص ١٨٧ .

" أنها الدرّ النثير واللؤلؤ المطير " .

أما أسلوب أبى حيان الكتابى فيتبوأ فى تاريخ النثر العربى مقاماً رفيعاً ، والغريب أن مؤرخى الأدب السابقين لم يعيروه كبير اهتمام وبعضهم أهمله ولم ينوّه بذكره. قال ياقوت : " ولم أر أحداً من أهل العلم ذكره فى كتاب ولا درجه فى ضمن خطاب ، وهذا من العجب العجاب " . وقد يكون لذلك أسباباً منها ما كانوا يرون فيه من سوء أخلاقه ووضاعة نفسه ، ومنها أنه وجد فى عصر كانت الشهرة فيه وقفاً على كبار كتاب الدواوين ونظرائهم ممن جروا فى طريقة السجع وتأنقوا بطرائف المحسنات البديعية فخُسف نوره آزاءهم ، وهكذا بقى محجوباً حتى جاء العصر الحديث وتحول النظر عن الصناعة اللفظية إلى جلال العبارة القائمة على سموّ المعانى وعمق التفكير وحسن التسلسل الفكرى فزالت عنه الحجب . وها نحن نثبت نماذج من ترسله وسنلاحظ فيها دقة أوصافه وقصر عباراته وحسن إيقاعها وميله إلى الإطناب والطباق . قال فى " رسالة الحياة " يصف حياة الديانة والسكينة : — (١)

" وبها ينال صاحبها خير العاجلة والآجلة ، لأن سربال الدين ضاف ، وعقباه مأمولة ، وسريرته ظاهرة ، وعلانيته مرضية . فالتدين يكمل الناقص ، ويزاد الراجح ، وينجو المُشفى ، ويبرأ العليل ، ويرشد الغوى ، ويستبصر العمىّ ..... وتمجيد الدين طويل لاغاية له فيوقف عندها ، ولا حد له فينتهى إليه " .

ومن فصوله فى كتاب المقابسات ما ورد فى المقابسة الثانية فى بطلان علم التنجيم قال بعد أن أثبت فوائد سائر العلوم : — (٢)

" وليس علم النجوم كذلك فإن صاحبه وإن استقصى ، وبلغ الحد الأقصى فى معرفة الكواكب وتحصيل مسيرها ، واقترانها ورجوعها وضروب مزاجها فى مواضعها من بروجها وأشكالها ، ومقاطعها ومطالعها فإنه لايستطيع البتة قلب عين شىء ولا صرف أمر إلى أمر ولا تنفير حال قد دنت ، ولا نفى ملمة قد كتبت ، ولادفع سعادة قد أجمّت وأظلت " .

---

(١) أنيس المقدسى — تطور الأساليب النثرية — ط دار العلم للملايين — ص ١٩٢ .
(٢) السابق نفسه ص ١٩٣ .

والخلاصة أن التوحيدى يمثل فى أسلوبه الطريقة التى جرى عليها المترسلون منذ القرن الثانى حتى القرن الرابع ، وذلك قبل أن طغى السجع على أقلام الكتاب وأصبح التنميق البديعى غاية الغايات فى هذا الباب .

ومن الذين برعوا فى الكتابة خلال القرن الرابع الهجرى ابن العميد فهو من الكتاب الذين تجلت فى آثارهم حضارة العرب وثقافتهم بما أزدهمت به من علوم استحدثوها أو نقلوا أصولها عن الدول الأجنبية . ويعد من الكتاب المعدودين فى العصر العباسى ، وكان يقرب الأدباء ، ويبذل لهم العطاء حتى مدحه الكثير منهم . وطريقة ابن العميد فى الكتابة تنزع إلى إثارة الوجدان بالعبارة العاطفية ، والصور الخيالية ، ويلتزم فيها السجع القصير الفقرات ، والجناس ، وتضمين الملح التاريخية والعلمية ، والإستشهاد بالشعر وهو مع ذلك يعنى بالمعنى ولايغفل جانبه . يقول أحمد أمين : — (١)

" جاء بعد الجاحظ ابن العميد ومدرسته فالتزم السجع وأمعن فيه ، ولم يخرج عنه ، وفسر الجمل لتؤدى مهمة السجع ، وملأ كتابته بأنواع البديع حتى أصبحت كتابته كقطعة من الفن المعمارى المملوءة بالتزاويق " .

أما سجعه فأكثره من القصير الفقرات الحسن الإزدواج مثال ذلك قوله من رسالة إلى بعض أخوانه : ففى القسم الأول منها يأخذ بالسجع لايحيد عنه ، ثم لايلبث أن يمزج السجع بغير السجع فيجرى فيهما بين قواف وفواصل حتى يصل إلى آخر الرسالة . وفى هذه يكثر من الطباق والإطناب مع شىء من الاستعارة والتشبيه . يقول : — (٢)

" أنا أشكو إليك جعلنى الله فداك دهراً خؤوناً غدوراً ، وزماناً خدوعاً غروراً ، لايمنح مايمنح الآريث ماينتزع ، ولايبقى فيما يهب الأريث مايرتجع ، يبدو خيره لمعاً ثم ينقطع ، ويحلو ماؤه جرعاً ثم يمتنع ، وكانت منه شيمة مألوفة ، وسجية معروفة ، أن يشفع مايبرمه بقرب إنتقاض ، ويهدى لما يبسطه وشك إنقباض ، وكنا نلبسه على ماشرط ..... الخ " .

---

(١) أحمد أمين — ظهر الاسلام — ط مكتبة النهضة المصرية — جـ٣ — ص ٢٠٥ .
(٢) انيس المقدسى — تطور الأساليب النثرية — ط دار العلم للملايين — ص٢٥٣ .

وهذه بعض فقرات من رسالته إلى عضد الدولة يهنئه بولدين وفيها يظهر أسلوبه المسجع القصير الفقرات : ـ [1]

" أطال الله بقاء الأخير الأجل عضد الدولة ، دام عزه وتأييده ، وعلوه وتمهيده ، وبسطته وتوطيده ، وظاهر له من كل خير مزيده ، وهناه ما احتظاه به على قرب البلاد ، من توافر الأعداد ، وتكثر الأمداد ، وتثمّر الأولاد ، وأراه من النجابة فى البنين والأسباط ما أراه من الكرم فى الآباء والأجداد ..... الخ " .

أما الصابى فقد نبغ فى عصر ابن العميد والصاحب بن عباد ، وقد عرف الأدباء والأمراء فضله وعهد إليه بديوان الإنشاء فى بغداد . قال الثعالبى فى اليتيمة : " ومدحه شعراء العراق فى جملة الرؤساء وسار ذكره فى الآفاق ، ودوّن له من الكلام البهى النقىّ ما تتناثر درره وتتكاثر غرره " ، وهذا الوصف العام قد يصدق على كل كاتب كبير : على أن للصابى على مايظهر منزلة ممتازة ولاسيما فى السلطانيات ، وفى ذلك يقول ابن الأثير فى " المثل السائر : ـ [2]

" وكيف أضعُ من الصَّابى وعِلْمُ الكتابة قد رفعه ، وهو إمامُ هذا الفنّ ، والواحد فيه ؟ ، ولقد اعتبرْتُ مكاتباته فوجدْتُه قد أجاد فى السلطانيَّات كلَّ الإجادة ، وأحْسَنَ كلَّ الإحسان . ولَوْ لَمْ يكنْ له سِوَى كتابه الذى كَتَبَه عن عزّ الدولة بختيار ابنْ بُوَيه إلى سبكتكين عند خروجه عليه ومحاصرته إيّاه بالعصيان ، لاستحق به فضيلة التقدّم ، كيف ولَهُ من السُّلطانيات ما أتى فيه بكلّ عجيبة ؟ ، لكنه فى الإخوانيات مُقَصِّر ، وكذلك فى كتب التعازى " .

ولقد حاول ابن الأثير نقد الصَّابى فضعّفه فى وجهين ـ تكرار العبارات وعدم ملاءمة التحميد لغرض الكتاب ، الأول كقوله : ـ [3]

---

(١) السابق نفسه ـ ص ٢٦١ .

(٢) ضياء الدين بن الأثير ـ المثل السائر ـ ت . د . أحمد الحوفى ، بدوى طبانة ط دار نهضة مصر ـ جـ ١ ـ ص ٢٥٤ .

(٣) السابق نفسه ـ جـ ١ ـ ص ٢١٧ .

" ولا تُخْلِقُه العُصُورُ بمُرورِهَا ، ولا تَهْرِمُه الدُّهورُ بكُرُورِها " ، وقوله فى الدولة العباسية : — (١)

" لم تزلْ على تَسالُفِ الأيَّام ، ومتعاقب الأعوام تَعْتَلُّ طَوْراً وتصحُّ أطْواراً ، وتَلْتَاث مُرَّة ، وتَسْتَقِلُّ مِرَاراً ، من حيثُ أَصْلُها راسخُ لا يتزعزع ، وبنيانُها ثابتُ لا يتضعضع " .

ولما قامت الدولة الطولونية سنة ٢٥٤ هـ كان أحمد بن طولون أول أمير على مصر استطاع أن يؤسس بها دولة مستقلة وأن يجعل الحكم فيها لأبنائه بالرغم من أنه استمر يدعو على منابر مصر باسم الخليفة العباسى ، ووسع أملاكه خارج مصر ، وكانت هذه المطامع السياسية الواسعة التى حقق الطولونيون شطراً كبيراً منها سبباً فى أن تتسع دائرة أعمالهم فاصطنعوا عدداً من الكتاب لمساعدتهم فى القيام بالأعباء الثقيلة التى واجهوها فاهتم أحمد بن طولون بديوان الإنشاء اهتماماً كبيراً بحيث نافس به ديوان الإنشاء فى بغداد فكثر الكتاب بمصر ، ومنهم الذى وفد إليها أمثال أحمد بن محمد الواسطى الذى دخل مصر مع أحمد بن طولون ، وكان كاتبه ، وموضع سره ، والحسين بن مهاجر وأصله من الرَّقة ، وانتقل إلى مصر فى عصر الولاة ، ومما حُفظ لنا من كتابة الحسين بن مهاجر قوله على لسان الأمير ينصح بعض العمال : — (٢)

" قَدْ صحت عندى نصيحتك ، وأنت غير محتاج أن تتحامل على أحد تحوز به الحجة عندى ، والعذر لى ، فميز الناس تمييز عادل ، وتلق شرارهم بلفظة وخيارهم برأفة ، واعلم أن حقدك عليهم فى نصيحتى تجنى به من الآثام ..... الخ " .

هذا النص يرينا كيف كان الحسين بن مهاجر يميل إلى البساطة فى التعبير ، ووضوح الغرض الذى يرمى إليه دون أن يعمد إلى التلاعب فى الألفاظ ، ولا إلى الفقرات المسجوعة .

---

(١) السابق نفسه — جـ ١ — ص ٢١٨ .

(٢) د . محمد كامل حسين — الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربى حتى آخر الدولة الفاطمية — ط دار النهضة المصرية — القاهرة — ص ١٩٨ .

وقد كثر عدد الكتاب فى ديوان ابن طولون ، وكان من شدة رغبته فى أن تصدر الرسائل على درجة كبيرة من الإتقان أنشأ ديوان " التصفح " لمراجعة مايكتبه كتاب الإنشاء ، وأول من تولى ديوان الإنشاء الذى رتبه ابن طولون هو أبو جعفر محمد بن أحمد ابن مودود المعروف بابن عبد كان الذى أشاد بذكره المؤرخون والأدباء . ومن رسائله التى كتبها عن أحمد بن طولون رسالة إلى العباس ابنه حين خرج عليه ، وهى الرسالة التى أجاب عليها جعفر بن جدار . يقول ابن عبد كان فى هذه الرسالة : — (١)

" من أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين إلى الظالم لنفسه ، العاصى لربه العلم بذنبه ، المفسد لكسبه العادى لطوره ، الجاهل لقدره ، الناكص على عقبه ، المركوس فى فتنته المبخوس من حظ دنياه وآخرته ، سلام على كل منيب مستجيب ، نائب من قريب قبل الأخذ بالكظم وحلول الغوث والندم ، وأحمد الله الذى لا إله إلا هو حمد معترف له بالبلاء الجميل ، والطول الجليل ، وأسأله مسألة مخلص فى رجائه ، مجتهد فى دعائه ، أن يصلى على محمد المصطفى وأمينه المرتضى ، ورسوله المجتبى — صلى الله عليه وسلم — ..... الخ " .

ولعلنا نستطيع من هذه الرسالة أن نلحظ عناية الكاتب بعبارته ، وكيف اهتم بتنسيقها ؟ وكيف أتى بالسجع من غير تكلف ؟ ، ومدى كلف الكاتب بالإزدواج مع استواء التقاسيم ، وميله فى المعانى إلى التشخيص والتصوير .

وإذا ذكرنا الدولة الإخشيدية فى هذا المقام هى التى عقبت الدولة الطولونية سنة ٣٢٤ هـ فإنما نعنى كافوراً الذى تولى أمرها ربع قرن من الزمان ، وكان فى كافور تلك الصفات التى عهدناها تنعش الآداب " (٢) .

وكان لقرب عهد الدولة الإخشيدية من الدولة الطولونية فلم تتغير كثيراً أصول وخصائص فن الكتابة من افتتاح الرسائل واختتامها . والذى يذكر هنا أن لقب الوزير

---

(١) د . محمود مصطفى — الأدب العربى فى مصر من الفتح الإسلامى إلى نهاية العصر الأيوبى — ط دار الكتاب العربى سنة ١٩٦٧ — ص ١٤٣ .

(٢) السابق نفسه ص ١٩٣ .

لزم كاتب الإنشاء ففى العهد الطولونى لم يكن ابن عبد كان يلقب إلا بكاتب ابن طولون بينما نرى فى عصر الدولة الإخشيدية كان إبراهيم بن عبد الله بن محمد النجيرمى زعيم كتاب الإخشيد يبين يلقب بلقب وزير ، وماذلك إلا لتقدم الحضارة ، وشيوع ذلك اللقب فى نواحى الدولة ، والنجيرمى هو إسحاق النحوى اللغوى أخذ عنه أبو الحسين المهلبى وحكى أنه ورد إلى الإخشيد كتاب من المانوس ملك الروم يفتخر فيه عليه ، ويزعم أنه له عليه المنة فى أن يخاطبه إذ قد جرت عادته ألا يخاطب خليفة فقرئ الخطاب على الإخشيد فأمر بالإجابة عنه جماعة فلم يختر إلا جواب إبراهيم بن عبد الله النجيرمى . ونزيد — هنا — أن كافوراً أمر لإبراهيم بثلثمائة دينار ومثلها للداعى له ، والذى فاخر به أهل عصره حتى نسخ منه عدة نسخ وأرسلها إلى البصرة ليطلع عليه أهلها ، وها هى تلك صورة من الجواب : — (١)

" من محمد بن طغج مولى أمير المؤمنين إلى المانوس عظيم الروم ومن يليه سلام بقدر ما أنتم مستحقون ، فإنا نحمد الله الذى لا إله إلا هو ونسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله — صلى الله عليه وسلم — . أما بعد فقد ترجم لنا كتابك الوارد مع نقولا وإسحاق رسوليك فوجدناه مفتتحاً بذكر فضيلة الرحمة ومانعى عنا إليك ، وصح من شيمنا فيها لديك وبما نحن عليه من المعدلة وحسن السيرة فى رعايانا ، وما وصلت به هذا القول من ذكر الفداء والتوصل إلى تخليص الأسرى إلى غير ذلك مما اشتمل عليه وتفهمناه " .

والذى نراه فى هذا الكتاب أن عباراته لازينة فيها مطلقاً ، ولا فضيلة فيها للفظ أو حسن صياغة ، وكأنما أراد الكاتب أن يفرغ معانيه فى أى قالب يظهرها واضحة جلية ، وهو بهذا يكاد يفقد شرط كتابة الإنشاء أو النثر الفنى وهو التفوق فى التعبير ، والتخير للألفاظ ، ولكن نلتمس للكاتب عذراً فهو يعلم أن كتابه سيترجم ، والترجمة لاتبقى على شئ من جمال اللفظ وزينته لذلك جعل إهتمامه منصرفاً إلى المعنى الذى يحرص أن يصل إليه سليماً واضحاً .

---

(١) القلقشندى — صبح الأعشى — ط نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية — وزارة الثقافة والإرشاد القومى — جـ٧ — ص ١١ .

ومما تقدم نرى أن الكتابة الفنية شقت طريقها بين المصريين ولقيت مشقة وجهداً فعبر الكاتب عما فى نفسه وما جاشت به خواطره فى أسلوب فنى جميل فيه أثر الصنعة حيناً ، وظهر تأثير ذلك كله فى كتاب العصر الفاطمى " (١) .

وإذا كانت الدولة الطولونية والإخشيدية قد احتاجتا إلى ديوان الإنشاء ، وإلى رئيسه فان الدولة الفاطمية إليه أحوج فهى تلك الدولة الواسعة الأطراف المجاهرة بالعداوة والمعارضة للدولة العباسية فهى تحتاج إلى إحكام أمرها وتدبير شئونها ، ولذلك عنيت بأمر ديوان الإنشاء وكتابه . قال القلقشندى صاحب " صبح الأعشى " :ـ(٢)

" ولما ولى الفاطميون الديار المصرية صرفوا مزيد عنايتهم لديوان الإنشاء وكتابه فارتفع بهم قدره وشاع فى الآفاق ذكره ، وولى ديوان الإنشاء عنهم جماعة من أفاضل الكتاب وبلغائهم مابين مسلم وذمى " .

أضف إلى هذه العوامل التى أدت إلى ازدهار النثر الفنى وقوته فى العصر الفاطمى أن وزراء العصر الأول من الحكم الفاطمى بمصر كانوا يختارون من رجال القلم الذين رأسوا الدواوين قبل اختيارهم للوزارة فجوهر الصقلى كان كاتباً من كتابهم ، ويعقوب بن كلس ، والفلاحى ، والجرجرائى وغيرهم ، وأول خصلة فنية نجدها فى كتابات الفاطميين أن جميع الكتاب إلتزموا السجع فى كتاباتهم فنحن نرى السجع هو التقليد الأول فى الكتابة طوال العصر الفاطمى من ابتدائه إلى آخره ، والخصلة الثانية التى نراها فى فن الكتابة هى كثرة الإقتباس من معانى القرآن الكريم أو تحلية كتاباتهم بتضمين آية من آيات القرآن ، وخصلة ثالثة هى المبالغة فى استخدام الزينة اللفظية والمعنوية فى كتاباتهم ، فهم يغرقون فى المبالغة حين يحاولون تشخيص المعانى ، ويولعون باستخدام الجناس ، ويكلفون فى تركيب جملهم بمراعاة النظير ، فإذا بك تجد كتاباتهم عبارة عن جمل قصيرة فى الغالب ، والجملة تتبع الأخرى فى وزنها وموسيقاها " (٣) .

---

(١) د . محمد كامل حسين ـ الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربى حتى آخر الدولة الفاطمية ـ ط دار النهضة المصرية ـ ص ٢٠٩ .

(٢) القلقشندى ـ صبح الأعشى ـ ط نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومى ـ جـ١ ـ ص٩٦ .

(٣) د . محمد كامل حسين ـ الحياة الأدبية والفكرية بمصر ـ ط دار النهضة المصرية ص ٢١٣ .

ولعل أول قطعة نثرية وصلتنا عن العصر الفاطمى هى رسالة الأمان التى كتبها جوهر الصقلى إلى المصريين ، وهو الأمان الذى قطعه على نفسه وعلى إمامة المصريين جميعاً على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم ، وقد حُفظت لنا بعض توقيعات جوهر التى تدل على كفايته ومقدرته فى فن الكتابة . يقول فى رقعة إلى أهل مصر : — (١)

" سوء الإجترام أوقعُ بكم حلول الإنتقام ، وكُفر الإنعام آخرجكم من حفظ الذِّمام فالواجب فيكم ترك الإيجاب ، واللازم لكم ملازمة الإحتساب ، لأنكم بدأتم فأسأتم وعدتم فتعديتم فابتداؤكم ملوم ، وعودكم مذموم ، وليس بينهما فرجة إلا تقتضى الذم لكم والإعراض عنكم ليرى أمير المؤمنين صلوات الله عليه رأيه فيكم " .

فى هذا التوقع نلاحظ خصائص فن جوهر فى الكتابة فالجمل قصيرة مسجوعة والمعانى متسقة ، وهناك مقابلة بين معنى الجملة والأخرى ، وهذه كلها من خصائص الكتابة فى العصر الفاطمى ، وكان يوسف بن محمد المعروف بابن الخَلال آخر من تولى رياسة ديوان الإنشاء فى مصر الفاطمية ففى السجل الذى كتبه عن الخليفة العاضد بتقليد شاور السعدى الوزارة بعد أن تغلب على ضرغام يقول :— (٢)

" مِنْ عَبْدِ اللهِ وَوَلِيِّه عبد الله أبى محمد الْعَاضِدْ لدين اللهِ أمير الْمؤمنين إلى السَّيِّد الأَجَلْ سُلْطَان الجيُوش ، ناصر الإسلام ، سَيْف الإِمَام ، شرف الأَنَام ، عُمْدة الدين سَلَامٌ عليك فإن أميرَ المؤمنين يَحْمَدُ إليك اللهَ الَّذى لا إله إلا هُوَ وَيَسْأَله أَنْ يُصلى على جَدِّه محمد خَاتِم النبيين ، وإمام المرسلين صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الأَئمة الْمَهْدِيين ، وسلم تسليماً . أما بعد فالحمدُ لِلهِ مانح الرغائب ومُنيلها ..... الخ " .

فى هذا السجل يظهر طابع الكتابة المصرية فى العصر الفاطمى ظهوره عند كل كتاب الدواوين فالحمد لله والصلاة على النبى والوصى والأئمة ، وإلحاح الكتاب على انتساب إمام العصر إلى النبى وعلى بن أبى طالب ، والإلمام بشىء من معتقدات الشيعة الإسماعيلية فى الإمامة . أما جهة الأسلوب والمعانى فتتجلى فى هذا السجل التقاليد

---

(١) السابق نفسه ، ص ٢١٦ .

(٢) د . محمد كامل حسين — الحياة الأدبية والفكرية بمصر من الفتح العربى حتى آخر الدولة الفاطمية — ط دار النهضة المصرية — ص ٢٢٠ .

التى نهجها الكتاب المصريون فالسجع والجناس والتطبيق والإقتباس وكثرة الجمل المتوالية التى تحمل معنى واحداً مع الألفاظ المترادفة . ونستطيع أن نقول أن عند ابن الخَلال انتهت تقاليد الكتاب الفاطميين لتعود إلى الظهور من جديد عند القاضى الفاضل . أما طريقة القاضى الفاضل فى الكتابة فقد افسحت السبيل كى تكون أهم المناهج التى تحتذى من قبل المعاصرين له مثل العماد الأصبهانى ، وضياء الدين بن الأثير أو ممن جاء على أثره فقد اتخذوا الفاضل إماماً فى مسالكهم الأسلوبية . يقول د . عبداللطيف حمزة : ـ (١)

" فُتن الأدباءُ فى العصور التى نؤرخ لها بالبديع ، وكان إمامهم المتبع فى ذلك هو القاضى الفاضل ، وله تلاميذ كثيرون منهم العماد الأصفهانى ، وابن سناء الملك وكمال الدين بن النبيه فى العصر الأيوبى ، وجمال الدين بن نُباته ، وصفى الدين الحلى وابن الوَرْدى فى العصر المملوكى ، والشهاب الخفاجى فى العصر العثمانى " .

ومن أهم السمات الأسلوبية لكتابة القاضى الفاضل اعتماده على القرآن الكريم اقتباساً ، وتلميحاً ، وحلاً لمعانيه ، ويظهر ذلك فى افتتاح إحدى رسائله عن السلطان صلاح الدين إلى الخليفة المستضىء بالله ببغداد يبشره بفتح بلد من بلاد النوبة والنصرة عليها حيث قال : ـ (٢)

" وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ سلام قَولاً مِنْ رب رَحِيمٍ ، فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وجنة نعيم " ، وَصَلاة يَتْبَعُهَا تسليم ، وَكَأْسٌ يمزجها تسنيم " .

ويلعب الشعرُ دوراً بارزاً فى كتابات القاضى الفاضل من حيث الاستشهاد والتضمين ومن أمثلة ذلك ماكتب به يتشوق إلى إخوانه ومحبيه : ـ (٣)

---

(١) د . عبداللطيف حمزة ـ الأدب المصرى من قيام الدولة الأيوبية إلى مجىء الحملة الفرنسية ـ ط مكتبة نهضة مصر ـ ص ١١٣ .

(٢) ابن واصل ـ مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ـ ت . جمال الدين الشيال ـ ط وزارة الثقافة والإرشاد ـ جـ ٣ ـ ص ٢٧٩ .

(٣) القاضى الفاضل ـ الدر النظيم من ترسل عبدالرحيم ـ ت د . أحمد أحمد بدوى ط مكتبة نهضة مصر ـ ص ٨ .

سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ ٱلْخَلَائِقِ ، أَنَّهَا هِيَ الثَّمَرَاتُ الطَّيِّبَاتُ ، إِذَا تُجْنَى
فَلَا زَالَ صَرْفُ الدَّهْرِ حَدَّ شَبَابِهَا وَلَا ضَجِبَتْ إِلَّا السَّلَامَةُ وَالْيُمْنَا

أَمَّا العماد الأصفهانى فقد تأثر بالقاضى الفاضل . يقول د . أحمد أحمد بدوى : — (١)

" وأسلوب العماد لايختلف عن أسلوب العصر فى إلتزام السجع والصناعة المعنوية ، وقد يبالغ فى ذلك ، ولاسيما حين يكتب إلى شيخ الصناعة فى عصره وهو القاضى الفاضل ، وحينئذ نحس بمبلغ العناء الذى كان العماد يتكلفه ليرضى زعيم أسلوب الصنعة فى عصره " .

ومن نصوص العماد الكتابية التى تؤكد الشبه الكبير بينه وبين القاضى الفاضل قوله فى التبشير بفتح حطين وعكا ، وهو كتاب مرسل من صلاح الدين إلى الديوان العزيز ببغداد يصف انتصاراته واستيلاءه على معظم مدن الساحل :— (٢)

" وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ " ٱلحمد للّٰه على ما أنجز من هذا الوعد ، وعلى نصرته لهذا الدين الحنيف من قبل ومن بعد ، وجعل بعد عُسْرٍ يُسْرا ، وقد أَحْدَثَ اللّٰهُ بعد ذلك أمراً ، وهوّن الأمر الذى ماكان الإسلام يستطيع عليه صبراً ، وخوطب الدين بقوله : " وَلَقَدْ مَنَنَّا عليك مَرَّةً أُخْرى " فالأُولى فى عصر النبى — صلى الله عليه وسلم — والصحابة ، والأخرى هذه التى عُتِقَ فيها من رقّ الكآبة فهو قد أصبح حُراً ، رَيَّان الكَبِدِ الحَرَّى ، والزمانُ كهيئته استدار والحقُ ببهجته قد استنار ، والكفرُ قد رَدَّ ماكَانَ عنده من المتاع المستعار فالحمد للّٰه الذى أعاد الإسلامَ جديداً شهيّه ، بعد أن كَانَ جذيذاً حَبْلُهُ مُبيضاً نَصْرُهُ ، مُخْضَرّاً نَصْلُهُ ، مُتَسِعاً فَضْلُهُ ، مجتمعاً شَمْلُهُ " .

---

(١) د . أحمد أحمد بدوى — الحياة الأدبيه فى عصر الحروب الصليبية — ط دار نهضة مصر — الفجالة — ص ٣٦٩ .

(٢) ابن واصل — مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب — ت . جمال الدين الشيال ط — وزارة الثقافة — ج٣ — ص ٣٣٢ .

أهم مايظهر فى هذه القطعة من خصائص الإستعانة بالقرآن الكريم ، وقد جاء مرتين تضميناً، المرة الأولى حيث استفتح الكتاب بقوله تعالى : " وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ " ، والمرة الثانية فى قوله : " وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى " وكلاهما تضمينٌ بالآية كاملة، ثم السمة البارزة أيضا السجع الذى إلتزم به العمادُ وتذبذب فيه بين طول الفقرات وقصرها ، فمن الفقرات الطويلة التى أراد منها تطويل العبارة كما ركز فيها على استخدام حروف الجر قوله : " اَلْحَمْدُ لِلهِ على مَا أَنْجَزَ من هذا الوعدِ " وهذه الفاصلة مكونةٌ من ثمانى كلمات، ثم الفاصلة الثانية " وعلى نَصْرَتِهِ لهذا الدينِ الحنيفِ من قبل ومعد " تسعَ كلمات، ثم جاءت الثالثةُ أقصرَ منهما فقد شملت ستَ كلمات ، وجاءت الرابعةُ تسعَ كلمات ..... الخ .

ويتفق ابن الأثير مع العماد فى الطريقة التى يكتبُ بها رسائله فهو يلتزمُ البديعَ من سجعٍ وجناسٍ وطباقٍ وموازنةٍ ، ولكن الخلاف بينهما يكمن فى أن ابن الأثير يتبعُ طريقةَ النثرِ المرسلِ الخالية من التكلفِ والبديع فى كتبه، بينما كان أُسلوب العمادِ فى الإنشاء وكتابةِ الرسائل هو نفس أُسلوبه فى التأليفِ مما يجعل قارىء كتبه " كالخريدة " و" الفتح القدسى " يَشعر بالملل ولا يستمرُ فى القراءة .

* * *